

بغداد تنكر نفسها وتتنكر لبانيها المنصور



تخلصوا منه لأنه الشيء الوحيد الذي كان يذكرهم ببغداد العباسية. بغداد العراقيين. بغداد الكرخ والرصافة. لم تبق إرادة الهدم أي شيء من تلك

فإن ما ينتظرها لن يكون هو الأسوأ. لقد اختفت الجثة ولم تعد الزهرة تقنع أحدا بزوالها. تلك زهرة للضحك ما دام البكاء قد محا بغيومه كل أثر لعاصمة الرشيد التي اختفت وراء حديقة ضبابها. سيكون مريحا لأبي جعفر المنصور أن يغلق عينيه المفتوحتين منذ قرون وبنيام. فلا شيء يستحق أن يرى. لا صوت يلبق به أن يسمعه. لا رائحة تحلق به لو شمهها. لم يعد هناك أثر من مدينته وهي قلادة مجده المدورة. لقية سلامه التي كان يلتبس الحب والحنان والشهوة والترق بين دروبها. موقد ناره وطريدة شهوته وجناحه حين الحلم. فهو ليس من بني بغداد بل بغداد هي التي استخرجته كما لو أنه لم يكن قبلها. لقد نعم زمانا طويلا في الرقود تحت وسادتها ولطالما مسد خصالها شعرها. كم كان زمانا رقيقا وعذبا ذلك الزمن الذي كان المنصور يسمع فيه ضحكات الأطفال وهي ترشقه بعطرها. ولكن الأطفال غابوا بل لم يعد هناك أطفال. إنه زمن الخونة الذين صارت لغاتهم الأعجمية تعذبه. هل صارت بغداد سوقا للأعاجم؟ لا أعتقد أن أبا جعفر المنصور سيحزن لأنهم هدموا تمثالها. لقد فعلوا ما يراه صحيحا. ما الذي يفعله المنصور وهو واحد من أهم بناة التاريخ في مدينة رثت ألبهات الفئران زهورها فصرت ترى بدلا من الزهرة رأس فار أينما التفت.



سيشعر الكثيرون بالخذلان. ما من شيء قابل للتعويض إذا تعلق الأمر بانتهيار القيم الرمزية. وفي حالة بغداد، ذلك الفردوس النائم، المدينة الهاربة بنفائسها الروحية بعد كل هذه الوضاعة التي هي صفة الإنبذال الذي مارسه المحتل الأمريكي، يمكننا القول إنها استسلمت لقيامتها. لقد حلت القيامة وما هي عاصمة الخلافة العباسية تعيش الساعات الأخيرة منها. ما الذي تبقى لكي تفيض الأرض كما لو أنها بركان في بكل لغات اليأس والألم والشقاء وما من شفاة وصولا إلى الموت؟ لا شيء يمكن توقع حدوثه لم يقع. خانت بغداد جمالها وسارت في جنازتها مثل مثل صبي ضائع. فهي وإن كانت ليست حجارتها، فإن كل حجر من أحجارها صار ينغي أخاه الحجر في ظل خراب لم تشهد مدينة من قبل، ليس على مستوى ما يري منه فحسب بل وأيضا على مستوى ما لا يري. فحين تمشي المدينة في جنازتها، فإن حشدا من الأيائل يرافقها بدموع لا تسقطها إلا غيوم أندلسية. أما وقد انتهت بغداد من حفلة بكاها بعد أن مرت بها كل العصور وتركت على وجهها أثرا من عواصفها،

فرنسا.. نحو حرب أهلية

مواطن كان الرئيس يريد مصافحته، فهذا تعبير واضح عن العنف اللفظي والمادي المنتشر في كل مكان، ومؤشر على أن الجمهورية ليست بخير وأن في الجو رائحة شيء يشبه الحرب الأهلية.

الجهة أو تلك، سرعان ما يقصى من وسائل الإعلام، بل بدأ بالتحول تدريجيا إلى نقاش وطني جدي، بعد أن تسربت رائحة بارود حرب أهلية أتت من الضواحي، لتزكم أنوف من يمتنون الصمت وغض الطرف في قاعات تحرير الصحف الباريسية والإدارات والوزارات. ولم يعد الأمر قابلا للتستر بعد نشر رسالتين مفتوحتين إلى السلطات انتقد فيهما عسكريون الأوضحة الأمنية الصعبة التي وصلت إليها فرنسا، ووقع عليهما ضباط كبار من بينهم 20 جنرا لا خارج الخدمة وآخرون من ذوي الرتب المتوسطة والمئات من الجنود، دون الإفصاح عن هوياتهم، وقد وصل عدد الموقعين إلى حوالي ألف موقع. ونالت الرسائل دعم عشرات الآلاف من الفرنسيين، لأن العسكريين ندوا بصمت السلطات المثير للارتياح، وطالبوا بضرورة تطبيق القوانين الموجودة بلا أدنى تردد أو ضعف من أجل تجنب الحرب الأهلية. والأخطر أنهم لحوا إلى إمكانية أن يحمل عسكريون عاملون السلاح لوقف تفكك المجتمع. رغم محاولة الحكومة الفرنسية تحويل القضية من جدل حول "الحرب الأهلية" إلى مسألة "حق الجيش في التعبير عن رأيه علنا" بسبب واجب التحفظ، إلا أن احتدام الأزمة الأمنية وتزايد عدد الضحايا والاشتباكات بين الشرطة وشبان الضواحي والعنف الوحشي الذي يمارس أحيانا بين المراهقين، شجعت الكثيرين على التحذير من حرب أهلية قادمة.



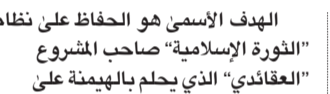
"يجب أن تكون حذرين من الحروب الأهلية التي تحدث بجهود شديد، والتي تستغرق عدة عقود قبل أن تتطور آثارها المدمرة، وهو ما سيكون عليه الحال عندما إن بقينا مكتوفي الأيدي". وهذا أجاب جان بيار شوفنمان وزير الداخلية الفرنسي في حكومة ليونيل جوسبان عن سؤال حول إمكانية حدوث حرب أهلية في فرنسا مستقبلا. أما وزير داخلية إيمانويل ماكرون السابق جيرار كولومب فقد تنبأ بحدوث مواجهات ومشاكل عظمى. ودعا قائد أركان الجيش الفرنسي السابق بيار فيليب إلى اتخاذ إجراءات لمواجهة خطر حرب أهلية تحدى بالبلد، بعد الاعتداءات الإرهابية الكثيرة. الذي يعاني فيه شعبنا من أزمة صحية واقتصادية، فنحن غير محضنين، يلوح أيضا في الأفق خطر حرب أهلية. ويتساءل عن الأسباب التي تجعل السلطات الفرنسية قادرة على فرض حجر طويل الأمد على الفرنسيين، بينما تقف عاجزة عن طرد إمام مسجد يلقي خطبا ضد فرنسا طول اليوم؟ هل تعيش فرنسا مرحلة ما قبل حرب أهلية؟

صغف رئيس فرنسا أمام الملا تعبير واضح عن العنف اللفظي والمادي المنتشر في كل مكان، ومؤشر على أن الجمهورية الفرنسية ليست بخير وأن في الجو رائحة شيء يشبه الحرب الأهلية

في العام 2015 أصدر الكاتب والصحافي إيفان ريوقول كتابا يحمل عنوان "الحرب الأهلية آتية" حذر فيه من خطة للإسلاميين تهدف إلى زعزعة النظام العام بإشعال الصراع بين الأقليات وبين الفرنسيين. وفي العام 2016 صرح رئيس المديرية العامة للأمن الداخلي باتريك كالفار أمام لجنة تحقيق برلمانية حول اعتداءات 13 نوفمبر 2015 قائلا "نحن على أبواب حرب أهلية". وأضاف "من واجبا أن نستيق الأحداث ونسد الطريق أمام الجماعات التي تريد في لحظة أو أخرى أن تشعل فتيل المواجهات بين الإثنيات على أرضنا". ولكن لم يعد الأمر مجرد كلام وتخليق أو مجرد تحذير من هذه

مسرحية يمارسها نظام طهران

الهدف الاسمي هو الحفاظ على نظام "الثورة الإسلامية" صاحب المشروع "العقائدي" الذي يحلم بالهيمنة على المنطقة العربية، والتيارات السياسية "المعترف" بها في البلاد، تخدم هذا الهدف لأنه يحافظ على استمرارها. بتعبير آخر، العلاقة بين النظام والتيارات السياسية الحالية في إيران تتناسب طردا، كلما قوي نظام المرشد زاد نفوذها، وعندما يضعف يصبح مصيرها على المحك ويقرب زوالها. تحت هذا السقف يسمح لثالوث المرشد والإصلاحيين والمحافظين بالصدام والاختلاف. تحته فقط يمكن للتيارات أن يختلفا في سياساتها، ويمكثهما الاختلاف مع خامنئي ويطانته في السياسة والجيش والحياة العامة. أما الحديث عن تباينات تقدم الإصلاحيين كملائكة ومعارضة تقاوم شر المحافظين، فهذا تشويه للحقائق ومبالغة كبيرة تخدم فقط نظام خامنئي الذي يوهم العالم بأن لديه ديمقراطية ومنافسة شرسة بين توجهين متعارضين تماما ستفصل صناديق الاقتراع في قوتها خلال الانتخابات المقبلة. ثمة مثال واضح على هذه العلاقة كشفت في تسريبات وزير الخارجية محمد جواد ظريف تحدث فيها عن هيمنة القائد السابق لفيلق القدس قاسم سلیماني على عمل وزارته. لم يعترض ظريف في حديثه أمام اجتماع حكومي متخصص، على سياسة إيران العدائية في الخارج، وهيمنتها على أربع دول عربية، وإنما كان اعتراضه فقط على تدخل سلیماني في حماية هذه السياسة وترويجها دبلوماسيا بعض الأحيان. مثال آخر على العلاقة بين ثالوث المرشد والإصلاحيين والمحافظين، فعندما اختار خامنئي قائمة المرشحين لانتخابات الثامن عشر من يونيو 2021، بحيث تنتهي بوصول المحافظين إلى السلطة، لم يندد الرئيس حسن روحاني، زعيم الإصلاحيين، باستبداد المرشد ولم يحشد التظاهرات ضده، وإنما بعث له برسالة عتاب تحته على إعادة النظر في تلك القائمة القصيرة لعلها تتسع لشخصيات معروفة في تياره الإصلاحي.



عندما يجدد على خامنئي المرشحين لرئاسة إيران بقائمة من سبعة أسماء أبرزها رئيس القضاء إبراهيم رئيسي، فهذا يوحي بأن "مرشد الجمهورية" لا يريد إصلاحيين في السلطة خلال العقد الثاني من الألفية الثالثة. لا ضير من بقائهم واتساع رقعة تيارهم بعيدا عن الأضواء خلال هذه الفترة، ولكن الدفة يجب أن يقودها المحافظون لأنها ستضع البلاد على محكات عدة في اختيار خليفة لخامنئي من جهة، وفي رسم الحضور الإقليمي والعالمي لإيران بعد الاتفاق النووي الجديد مع الولايات المتحدة، من جهة ثانية.

هكذا يبدو المشهد العام للانتخابات الرئاسية المقبلة في إيران، وقد ينطوي ذلك على جانب من الصواب، ولكن ثمة بضع نقاط مظلمة لا ترى بالعين المجردة، إن جاز التعبير. نظام ولاية الفقيه لا يسمح بغير الإصلاحيين والمحافظين في الحياة السياسية، وهو يحارب كل أحزاب أو تكتلات أو حتى أنشطة فردية خارجها بذريعة مخالفة الدستور. ومن يخالف الدستور "يخالف الله ورسوله" ويجوز قتاله وقتله". الأمثلة على ذلك كثيرة وتاريخ "الثورة الإسلامية" منذ 1979 يحفظ الكثير من أسماء الضحايا. المحافظون والإصلاحيون وجهان لعملة واحدة عندما يتعلق الأمر بتفتيش أوامر "المرشد". هو صاحب القول الفصل في شؤون البلاد، وهو من يضع الخطط بالتنسيق مع بطانته في الحرس الثوري وأجهزة الأمن والمؤسسات الدينية. أما الحكومة، سواء كانت إصلاحية أم محافظة، فهي تترجم هذه الخطط إلى ممارسات وتعالج نداءاتها الداخلية والخارجية. فإن أراد خامنئي الصدام والمباشرة والمواجهة مع خصوم النظام، أنشأ حكومة من المحافظين، وإن أراد المواربة والخبث لجأ إلى حكومة إصلاحيين.



العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
London, W6 8BS, UK
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk